ملامح البلاغة النبوية في ضوء جوامع الكلم

فضل الله *

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه و أزواجه و أتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد!

أرسل الله سبحانه و تعالى محمدا -صلى الله عليه و آله و سلم- إلى الناس كافة ليقوم بمهمة الدعوة إلى الله تعالى و البلاغ للتنزيل الحكيم بلاغا مبينا، قال الله تعالى:﴿وَمَاعَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾(١)و قال تعالى:﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾(٢).و هذه المهمة العظمى تقتضي من البلاغة العليا و البيان العالي لتحقيق الهدف المنشود على الصورة التي يرتضيها الله تعالى ممن أرسله.

بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم:

القرآن الكريم معجزة بلاغية كبرى، و هي رسالة سرمدية تحدّث البشرية جمعاء من بداية نزولها حتى قيام الساعة، و لذا لا بد أن يكون صاحب هذه الرسالة من أفصح الناس ليبين هذا التنزيل الإلهي في صورة بليغة جميلة. و قد وكّل الله سبحانه و تعالى هذه المهمة إلى سيد الرسل محمد بن عبد الله -صلى الله عليه و آله و سلم-و ﴿اَللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾(٣)، وأعدّه إعدادا خاصا، وأهّله لحمل تلك الرسالة العظيمة تأهيلا لا نظير له، و أتاح له من الأسباب الحسية و المعنوية ما يجعله متمكنا من و سيلة البيان على الوجه الأكمل، فجعله قائدا على أن يبين ما أنزله الله تعالى من وحي عظيم في قول واضح جميل. لقد أتاح الله تعالى لنبيه منذ البداية أسباب الفصاحة والبلاغة فهو من قريش(٤) واسترضع في بني سعد. وعنده فطرة سليمة وفكر ثاقب الذي طالما دفع الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى التأمل والنظر. وقد عاش الرسول – صلى الله عليه وسلم – مع القرآن الكريم معايشة طويلة حتى صار القرآن جزءاً أساسياً له، تخلقاً في السلوك، واتباعاً في البيان، فتمت له -صلى الله عليه وسلم- الفصاحة الكاملة الفريدة في الإبلاغ والإرشاد.

نظراً لهذه الأسباب الفطرية الموهوبة والمكتسبة(٥) كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أفصح الناس جميعاً، وقد وهبه الله تعالى سليقة البيان، واستقامة الطبع واستعداد الفطرة ودقه الحس، وعمق التذوق، وحسن الإفهام وحلو المنطلق. وكان كلامه – صلى الله عليه وسلم – جامعاً لجميع المحاسن وبعيدا عن كل المساوئ. وكانت عنده مقدرة فائقة على الاختراع والتشقيق لضروب الكلام، وتصوير المعاني بأروع صور، وابتداع الأخيلة التي لم تعرف في كلام العرب، وظلت بعده من الحسنات التي ينسج الناس على منوالها، ويُدْبجوا كلامهم على مثالها، دون أن يقتربوا من حدها.

كانت بلاغة الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – مضرب المثل، وموضع الدهش، ومحل الإعجاب من كل من سمعه، وأصغى إلى معانيه تطل منها أروع الحكم، وتنبجس خلالها أصدق الأمثال، حتى لقد عجب من ذلك

* الأستاذ ، كلية اللغة العربية، الجامعة العالمية الاسلامية ، اسلام آباد، باكستان.

البليغ المنطيق: علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – فقال: يا رسول الله، نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نعرفه فمن علمك؟ فقال صلوات الله وسلامه: – "أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيْبِي" وتعجب أبو بكر – رضي الله عنه – من فصاحة الرسول – صلى الله عليه وسلم – حين قال له: "لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك، فمن أدبك؟ فقال عليه الصلاة والسلام: "أدبني ربي فأحسن تأديبي"(٦).

وكان عليه الصلاة والسلام يعتز بما منحه الله من نقاء الفطرة، وصفاء القريحة، وخلابة المنطق، ورجاحة الفكر، وسجاحة الأسلوب، فيقول: "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر"(٧) أو وفي رواية "أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش"(٨) وروى البيهقي في شعب الإيمان عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن رجلاً قال: يا رسول الله ! ما أفصحك؛ فما رأينا الذي هو أعرب منك؟ قال: حُقَّ لي فإنما أنزل القرآن علي بلسان عربي مبين"(٩) وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة "بعثت بجوامع الكلم"(١٠).

وقد تكلم العلماء قديما وحديثا عن البلاغة النبوية وتفوقها عن فصحاء العالم وبينوا أسباب فصاحته – صلى الله عليه وسلم – بالبسط والتفصيل. وفيما يلي نقدم بعضا منها على سبيل الغيض من الفيض.

قال الجاحظ: هو الكلام الذي قَلّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونُزّه عن التكلف ... استعمل المبسوط في موضع البسط؛ والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة، وشيّد بالتأييد، ويسّر بالتوفيق ... ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً وأصدق لفظاً، ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه من كلامه صلى الله عليه وسلم"(١١).

يقول الإمام الخطابي(١٢): "إن الله – جل وعز – لما وضع رسوله موضع البلاغ من وحيه، ونصب منصب البيان لدينه، اختار له من اللغات أعربها، ومن الألسن أفصحها وأبينها، وليباشر في لباسه مشاهد التبليغ، وينبذ القول بأوكد البيان والتعريف، ثم أمده بجوامع الكلم التي جعلها رداً لنبوته، وعلما لرسالته، لينتظم في القليل منها علم الكثير، فيسهل على السامعين حفظه ولا يؤودهم حمله"(١٣).

و قال الأديب المشهور مصطفى صادق الرافعي عن البلاغة النبوية: "هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآياتها، و حسرت العقول دون غايتها، لم تُصنَع و هي من الإحكام كأنها مصنوعة، و لم يُتكلَّف لها و هي على السهولة بعيدة ممنوعة.

ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، و يصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي و لكنها جاءت من سبيله و إن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله، محكمة الفصول، حتى ليس فيها عروة مفصولة، محذوفة الفضول، حتى ليس فيها كلمة مفضولة. و كأنما في اختصارها و إفادتها نبض قلب يتكلم، و إنما هي في سموها و إجادتها مظهر من خواطره صلى الله عليه و سلم .... على أنه سواء في سهولة إطماعه؛ و صعوبة امتناعه؛ إن أخذ أبلغ الناس في ماهيته، لم يأخذ بناصيته، و إن أقدم على غير نظر فيه رجع مبصرا، إن جرى في معارضته انتهى مقصرا.(١٤)

والبحث في بلاغة الرسول – صلى الله عليه وسلم – غاية سامية؛ لأنه يتعلق بحياة الرسول كلها، والقراءة والتأمل والتدبر في حياة الرسول عبادة عظيمة. و إن الآثار البيانية التي ورثها المسلمون عن رسول الله –صلى الله عليه و

آله و سلم- غزيرة و متنوعة، و هي عبارة عن الآثار التي صدرت من الرسول -صلى الله عليه و آله و سلم- من بداية بعثه رسولا إلى انتقاله إلى الرفيق الأعلى، و الجوانب البلاغية و الفنية لا تنتهي، بل هي تزداد جدة و تنوعا حسب كثرة الدراسات و وفرة البحوث كما قال صادق الرافعي "كلما زدته فلا زادك معنى"(١٥).

و هناك خصائص و مزايا عديدة للبلاغة النبوية مثل البيان و الوضوح، و رعاية أحوال المخاطب و رعاية مقتضى الحال و الأصالة و الجدة، و التسلسل و المنطقية و الدقة و الإحكام و التصوير، و استخدام الصور البيانية من التشبيهات و الاستعارات و الكنايات، و الاعتماد على الموسيقا في الألفاظ و الجمل و التراكيب و غيرها من السمات البيانية، و لكن الباحث يحاول أن يسلط الأضواء الجوانب البلاغية و المزايا الفنية الموجودة في بعض جوامع الكلم مستعينا بربه المستعان.

من أبرز مميزات أسلوب الرسول – صلى الله عليه وسلم – الإيجاز و الأصالة والجدة التي كانت ظاهرة واضحة في أقواله الكثيرة التي كان يبدعها عليه أفضل الصلاة والسلام على غير مثال سابق، وهو يبتدع كثيراً من الأساليب البيانية والعبارات الجديدة، التي تكشف إلهام الله له وتوفيقه له للإتيان بألوان متنوعة من فنون القول التي لم يسبق إليها وقد قال – صلى الله عليه وسلم – : "أوتيت القرآن ومثله ومعه"(١٦) وقد لاحظ الدارسون هذه الخصوصية في بلاغة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وبيانه"(١٧).

وقد أشار الرسول – صلى الله عليه وسلم – بنفسه إلى هذه الميزة قائلاً "أعطيت جوامع الكلم" وفي رواية "أوتيت جوامع الكلم"(١٨).

من أبرز صفات كلام الرسول – صلى الله عليه وسلم – ومن أخص خصائص بيانه الشريف الإيجاز؛ لأنه – صلى الله عليه وسلم – أوجز الناس كلاماً. كان يتكلم بالكلام القليل يجمع فيه المعاني الكثيرة. والمراد من الإيجاز(١٩) إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ. روى الترمذي في الشمائل عن الحسن بن علي "قال: سألت خالي هند ابن أبي هالة وكان وصّافاً قلت: صف لي منطق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ... طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة يفتتح الكلام ويختمه باسم الله ويتكلم بجوامع الكلم، كلامه فصل لا فضول ولا تقصير، ليس بالجافي ولا المهين"(٢٠)

وكان يوصي بالإيجاز في الكلام ويرغب فيه، ومن ذلك قوله لجرير بن عبد الله البجلي يا جرير إذا قلت فأوجز، وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف"(٢١).ومن هنا فقد غلب على كلامه – صلى الله عليه وسلم – الإيجاز؛ وإذا كان الإيجاز أصلا في بلاغات اللغات فإنها في البلاغة العربية أصل وروح وطبع.(٢٢)

وقد توقف ابن الأثير في المثل السائر عند جوامع الكلم للنبي – صلى الله عليه وسلم – وأورد قوله – صلى الله عليه وسلم – : أوتيت جوامع الكلم" وقال: المراد بذلك أنه – صلى الله عليه وسلم – أوتي الجوامع للمعاني" وقد جعل جوامع الكلم على قسمين.

القسم الأول الفاظ "تتضمن من المعنى ما لا تتضمنه أخواتها، مما يجوز أن يستعمل في مكانها. فمن ذلك ما يأتي على حكم المجاز، ومنه ما يأتي على حكم الحقيقة(٢٣)، ومثّل للأول بقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – "الآن حمي الوطيس"٢٤ وقوله "بعثت في نفس الساعة"(٢٥) ومثل لما يأتي على الحكم الحقيقة بأبيات لابن الرومي"(٢٦).

وأما القسم الثاني من جوامع الكلم فالمراد به الإيجاز، الذي يدل به بالألفاظ القليلة على المعاني الكثيرة، أي أن ألفاظه – صلوات الله عليه – جامعة للمعاني المقصودة على إيجازها واختصارها. وجل كلامه جار هذا المجرى فلا يحتاج إلى ضرب الأمثلة"(٢٧).

وقد بين أحمد حسن زيات سبب شيوع الإيجاز في أسلوب النبي – صلى الله عليه وسلم – قائلاً. "لأن الإيجاز قوة في التعبير، وامتلاء في اللفظ وشدة في التماسك، وهذه صفات تلازم قوة العقل، وقوة الروح، وقوة الشعور، وقوة الذهن، وهذه القوى كلها على أكمل ما تكون في الرسول- صلى الله عليه وسلم – ومن هنا شاعت جوامع الكلم في خطبه وأحاديثه حتى عدت من خصائصه"(٢٨).

وعن هذا الجانب يقول الرافعي: "فلا جرم كان – صلى الله عليه وسلم – على حد الكفاية في قدرته على الوضع والتشقيق من الألفاظ، وانتزاع المذاهب البيانية، حتى اقتضت ألفاظ كثيرة لم تسمع من العرب قبله، ولم توجد في متقدم كلامها، وهي تعد من حسنات البيان،لم يتفق لأحد مثلها في حسن بلاغتها، وقوة دلالتها، وغرابة القريحة اللغوية في تأليفها وتنضيدها، كلها قد صار مثلاً، وأصبح ميراثاً خالداً في البيان العربي"(٢٩).

نظراً لهذه الخصيصة والميزة النبوية برزت ظاهرة جوامع الكلم في كلام الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهي توجد في كلامه بوفرة وكثرة جداً. من الجمل والأقوال القصيرة التي تضمنت المعاني الكثيرة من مثل قوله:

"ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل"(٣٠) وقوله "إذا لم تستح فاصنع ما شئت"(٣١) وقوله "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امريء ما نوى"(٣٢) وقوله "اليد العليا خير من اليد السفلى"(٣٣) وقوله: "اللهم إني أحمدك على العرق الساكن والليل النائم"(٣٤) وقوله: "خير المال عين ساهرة لعين نائمة"(٣٥). و مات حتف أنفه و قوله "الآن حمى الوطيس".(٣٦)إذا تأملنا في كل هذه التعبيرات فنجد أن هناك بحرا زاخرا من المعاني الكامنة والأسرار اللطيفة.

نماذج تطبيقية من جوامع الكلم:

وهناك أمثلة كثيرة تدل على سمو البلاغة النبوية و رفعتها و احتوائها على المعاني الغزيرة و الحكم اللطيفة مع قلة حروفها و كلماتهافمنها:

١. قوله عليه السلام:"هُدنَةٌ عَلَى دَخَن"(٣٧).وقد وقف الرافعي تحت الحديث المذكور طويلاً وقال:"الهدنة: الصلح والموادعة والدخن: تغيّر الطعام إذا أصابه الدخان في حال طبخه فأفسد طعمه. وهذه العبارة لا يعدلها كلام في معناها، فإن فيها لوناً من التصوير البياني لو أذيبت له اللغة كلها ما وفت به، وذلك أن الصلح إنما يكون موادعة ولين، وانصرافاً عن الحرب، وكفا عن الأذى؛ وهذه كلها من عواطف القلوب الرحيمة فإذا بني الصلح على فساد، وكان لعلة من العلل، غلب ذلك على القلوب فأفسدها، حتى لا يسترح غيره من أفعالها، كما يغلب الدخن على الطعام، فلا يجد آكله إلا رائحة هذا الدخان، والطعام من بعد ذلك مشوب مفسد.

فهذا في تصوير معنى الفساد الذي تنطوي عليه القلوب الممتلئة غيظاً وحقداً.

وثم لون آخر في صفة هذا المعنى، وهو اللون المظلم الذي تنصبغ به النية (السوداء) وقد أظهرته في تصوير الكلام لفظة (الدخن).

ثم معنى ثالث، وهو النكتة التي من أجلها اختيرت هذه اللفظة بعينها، وكانت سر البيان في العبارة كلها، وبها فضلت كل عبارة تكون في هذا المعنى وذلك أن الصلح لا يكون إلا أن تطفأ الحرب. فهذه حرب قد طفئت نارها بما سوف يكون فيها ناراً أخرى. كما يُلقى الحطب الرطب على النار تخبوبه قليلاً، ثم يستوقد فيستعر فإذا هي نار تلظى وما كان فوقه الدخان فإن النار ولا جرم من تحته، وهذا كله تصوير لدقائق المعنى كما ترى، حتى ليس في الهدنة التي تلك صفتها معنى من المعاني يمكن أن يتصور في العقل إلا وجدت اللون البياني يصوّره في تلك اللفظة "الدخن"(٣٨).

٢. و قوله صلى الله عليه و آله وسلم لأنجشة رضي الله عنه:و يحك يا أنجشة! سوقك بالقوارير(٣٩) و قد استعمل الرسول -صلى الله عليه و آله وسلم- الكناية للنساء كلمة القوارير لأمور ثلاثة؛ أولا: فلما هن عليه من حفظ الأجنة و الوعاء كالقارورة تحفظ ما فيها. ثانيا: لاختصاصهن بالصفاء و الصقالة و الحسن و النضارة. ثالثا: فلما فيهن من الرقة و المسارعة إلى التغيير و الإنثلام، كما يتسارع الإنثلام إلى القارورة لرقتها أي أن الله سبحانه و تعالى جعلهن حافظات الأجيال القادمة و لما فيهن من الصفاء و حب الزينة و النضارة و لما فيهن من الرقة و المسارعة إلى التغيير.

٣. ومن جوامع كلمه -صلى الله عليه وسلم: "اَلْمُؤمِنُ مِرْآةُ الْمُؤمِن"(٤٠) هذا الحديث توجد فيه ركيزتان جميلتان: الأولى: التشبيه، والثانية: الإيجاز. فقد يتكوّن الحديث على ثلاث كلمات فقط، ولكنه حوى كثيرا من المعاني. فالنبي الكريم بهذه الجملة الموجزة يشبه المؤمن في علاقته بأخيه المؤمن بالمرآة التي تكشف العيوب والمحاسن، وكذلك المؤمن يكشف لأخيه ما به من عيوب ومحاسن، ويصدق أخاه النصيحة ويريه: "مواقع رشده ويطلعه على خفايا عيبه، فيكون كالمرآة له ينظر فيها محاسنه فيستحسنها ويزداد منها، ويرى مساوئه فيستقبحها وينصرف عنها"(٤١) والحديث بلغ الغاية في التصوير وفي تحقيق الدلالات الغزيرةواللطيفة. فالمسلم يعمل عمل المرآة لصاحبها، فالمرآة تري الناظر الحسنات والسيئات بلطف، وكذا المسلم يبين لأخيه المسلم عيوبه ويبصره بأعماله بأسلوب حسن وكلام لطيف. والمرآة لا تكشف العيوب والمحاسن إلا لحاملها، وكذلك المسلم لا يفضح أخاه، بل يناصحه في السر. وكلما كانت المرآة أكثر صفاء وأكثر نقاء، كان عكسها للصورة أكثر وضوحا و كذلك يكون قلب المؤمن صافيا لأخيه. ولذلك فالمؤمن لا يظهر لأخيه المؤمن عيوبه، ويخفي المحاسن أو العكس، وإنما هو كالمرآة يعكس الصورة الصحيحة من غير غش ولا خداع، و كذلك تكون المرآة مستوية لا مقعّرة و لا محدّبة، و هي لا تكبّر الصغير و لا يصغّر الكبير و كذلك المؤمن حينما ينصح أخاه لا يكبّر السيئة و لا يصغّرها، إنما يقدمها كما هي. و كذلك لا تتأثر المرآة من العوامل الخارجية من الرضا و السخط و كذلك المؤمن أثناء النصيحة لا يتأثر من رغباته و علاقته بمن ينصح بل يقدم النصيحة بكل اعتدال و اتزان.

٤. و منها قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-":كُلُّ مَعْرُوْفٍ صَدَقَةٌ"(٤٢)يتكوّن الحديث على ثلاث كلمات، ولكن حكمهعظيمة وغاياته غزيرة، فلقد أتى هنا بكلمة " كل " التى تفيد العموم فى سياق الإيجاب مع تقديمها، وقد أضاف إليها " المعروف " منكراً وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وهو من الصفات الغالبة بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه، وما أكثر المعروف الذى يشمل كل أبواب الخير جليلها ودقيقها حتى أن يلقى المسلم أخاه بوجه طليق،(٤٣)ولقد جاء هنا بكلمة " معروف" نكرة لهذا القصد

أى ليشمل كل أنواع البر قليله وكثيره، وكلمة معروف هنا لها دلالتها لتشمل كل ما تعارف عليه الناس من الخير،(٤٤)ولم يقل هنا: البر أو الطاعة مثلاً لأجل العموم فى فعل الخير كما سبق، وقد أدخل النبى -صلى الله عليه وسلم- فعل الطاعات كلها فى باب الصدقات توسيعاً لمفهوم الصدقة التى لا تنحصر فى العطاء المادى للمحتاج، بل تشمل كل أنواع الخير من صلة للرحم، وحسن الصحبة للناس ونحو ذلك. ويلاحظ هنا أن الإيجاز فى اللفظ قد راعى فيه البيان النبوى الدقة ليشمل كثيراً من المعانى لأنها المقصودة من هذا الإيجاز، وهذه الكلمات الثلاث قد عبرت عن المقصود أتم تعبير، وشملت من الخير الكثير.

٥. و منها قول الرسول -صلى الله عليه و آله و سلم- عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"إِنَّ الصَّبْرَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولى"(٤٥)

و الحديث جمع الإيجاز و الحكمة معا، و هي مكوّنة من خمس كلمات، ولكنها تشتمل على المعاني الغزيرة، فالنبى -صلى الله عليه وسلم- بهذه العبارة الموجزة يريد أن يقول لهذه المرأة الثكلى التى فقدت صبيهاوقد آلمها المصاب، وأجزعتها الفجيعة أن الصبر الحقيقى عند شدة المصيبة وقوتها، وأن صاحبه يحمد ويثاب عليه فى هذه اللحظة لأن النفس إنما يشتد جزعها أو يكون ثباتها عند أول نزول البلاء. فمن الناس من يجزع ويفوت على نفسه فضيلة الصبر الذى جاء فى الحديث محصوراً بـ " إنما " وجاء أيضاً معرفاً بـ " أل" أى الصبر الحقيقى الكامل الذى يترتب عليه الأجر الجزيل لكثرة المشقة فيه،(٤٦)والذى يستحق عليه صاحبه الأجر والثواب، والذى يعتد به ما كان فى هذه اللحظة التى عبر عنها النبى -صلى الله عليه وسلم- بـ " الصدم " من الأمور الحسية. فالصدم هو ضرب الشيئ الصلب بمثله،(٤٧)والمعنى الثبات عند نزول البلاء والتحمل فى سبيل الله، ونعت الصدمة هنا بالأولى إشارة إلى ما سبق ذكره من أن الصبر عند قوة المصيبة وشدتها محمود صاحبه، ومثاب لأنه إذا طال الوقت فيصير الصبر طبعاً فلا يؤجرعليه. وهكذا نرى كلامه -صلى الله عليه وسلم- على قلة مبانيها ودقة ألفاظه قد حوى كثيراً من المعانى والإشارات , ويلاحظ أنه جاء بـ " إنما " التى تفيد القصر فى أول الكلام، وعرف الصبر بـ " أل "، وعبّر عن شدة المصيبة بالصدمة الأولى. الصدمة الأولى "في الحديث كناية عن أول هجمة المصيبة، فعندها تهتزّ النفس ويكون تأثير المصيبة في ذروته، وهذه الحال تشبه صدمة الجسم الشديد في أنه يحطم ويوجع ويؤلم، وفي "الصدمة" بمفردها استعارة تصريحية شبه فيها حلول المصيبة بصدمة مادية على جسم المصاب فأذهله؛ لأن ما يفاجيء الإنسان وهو غافل أعظم إيجاعا لنفسه مما يطرقه وقد أخذ له أهبته وأعد له عدته، من هنا أعطي الأجر بكامله لمن صبر لتلك الصدمة ولم يجزع ويتمالكه الحزن والقلق وسلم الأمر كله لله عز وجل.

٦. ومن جوامع كلمه، صلى الله عليه وسلم: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ"(٤٨) الحديث قبس من قبسات النبوة، وهو يوحي بصورة جميلة هي التي أطلق عليها علماء البيان التشبيه البليغ. حيث يشبه -عليه السلام- مقام المؤمن في الدنيا بحال رجل مقيم في بلاد غربة. فكما لا نجد في الغريب ركونا إلى الأرض التي حل فيها أو أنسا بأهلها، ولكنه مستوحش في مقامه مهما طالت إقامته لا يشغل نفسه بدنيا الناس، بل يكتفي باليسير منها. فكذلك حال المؤمن مع الدنيا، فلا ينبغي له أن يتخذها وطنا أو مسكنا فيطمئن فيها، وإنما ينبغي أن يكون فيها كالغريب مهما طالت إقامته في البلد الذي اغترب فيه، فإنه ليس من أهله وسيعود يوما ما إلى بلده، فهو دائما على جناح سفر يهيئ جهازه للرحيل: "ومن كان في الدنيا كذلك، فلا هم له إلا التزود بما ينفعه

عند عوده إلى وطنه، فلا ينافس أهل البلد الذي هوَ غريب بينهم، في عزهم، ولا يزعج من الذل عندهم"(٤٩)، فالحديث احتوى معاني عظيمة، وحكما بالغة. فهو يشير إلى قصر الأمل في الدنيا التي أغرت الناس وألهتهم عن آخرتهم، فاتخذوها وطنا ومحلا لإقامتهم.

٧. فمن جوامع كلامه -صلى الله عليه وسلم- قوله: "حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ"(٥٠) لقد جمع هذا الحديث من المعاني الغزيرة و الجميلة ما تتقاصر دونه ملكات البيان، فهو يوحي بصورة الاستعارة المكنية الجميلة. وقد ورد الحديث في مجال الترغيب على ترك المعاصي و الشهوات، وإن مالت إليها النفوس، والحرص على الطاعات وإن كرهتها النفوس. فقد وضح الحديث أن الطرق المفضية إلى الجنة كلها شاقة، ومسالكها صعبة ووعرة. فهي قد حفت بالمكاره والأشواك، والمراد أن جميع الأفعال التي توصل إلى الجنة يتطلب فعلها مشقة وجهدا وصبرا. وفي هذا توجيه بليغ إلى أن كل من يريد الجنة عليه أن يتزود في رحلته الشاقة المحفوفة بالأشواك والمخاطر، وخير زاد يتزود به الإنسان تقوى الله ومقاومة شهوات النفس وهواها. ثم يبين لنا سهولة طريق النار؛ لأن الأفعال المفضية إليها ملائمة للشهوات، لما فيها من لذائذ وإغراءات. و قد وضح الأستاذ بكري شيخ أمين مبينا الأسرار البلاغية و الجمالية في هذا الحديث: "حفت: أحيطت، من حفيف الأشجار، وهو صوت أوراقها عندما تهزها الرياح، واللفظ خفيف الوقع على السمع، وله عذوبته الموسيقية، وجرسه الجميل، وكذلك المعنى الذي يعبر عنه به. ولكن بمقدار هذه النعومة يكون التغلغل الخطر العميق والبعيد، فالرياح لا نراها، ولكن بها تتساقط أوراق الخريف، وتتلف الزروع، وتقتلع الأشجار إذا تمادت ريحا صرصرا عاتية. ولذلك جاءت بصيغة الفاعل المجهول الذي يفعل كل شيء، ولكن من وراء ستار، ويترك لسواه يظهر بما ليس فيه، نافعا أو ضارا، جميلا وغير جميل، ومن ذلك الشهوات تدب دبيب النمل، وتسري مسرى الدم، وترتدي الثوب الجميل، وفي باطنها السم القاتل... وهي معركة الخير والشر دائمة لا تنتهي أبدا".(٥١)

٨. وقوله -عليه السلام-: "العَيْنُ حَقٌّ"(٥٢)فيما يتصل بالعين وأثرها فى المعين، الحديث مكوّن من كلمتين , ولكن فيه بحرا زاخرا من المعانى الحكيمة، فالنبى -صلى الله عليه وسلم- أراد بـ " العين ": الإصابة بالعين، ومعنى أنه "حق": أى كائن مقضى به فى الوضع الإلهى لا شبهة فى تأثيره فى النفوس والأموال. فهذا الحديث بإيجازه رد على من ينكرون الحسد وأثره فى المحسود، وفيه إشارة إلى أن هذا الحسد من قضاء الله، وهو ما عبرت عنه كلمة "حق" لتشمل هذا المعنى، وتشمل الرد على من ينكرون وجوده ووقوعه. وما أروع تعبيره بـ " العين " على سبيل المجاز المرسل علاقته السببية إذ العين سبب المرض ولم يقل مثلاً: الجسد حق , وإنما قال: "العين" إشارة إلى الغالب فى الحسد، وهو أن يكون بالنظر من الحاسد إلى المحسود يقال: أصابت فلان عين: إذا نظر إليه عدو أو حسود فأثرت فيه فمرض بسببها، ويقال: عانه يعينه فهو عائن: إذا أصابه بالعين، والمصاب معين، فعبر عن الغالب فى الحسد بذكر آلته، وإلا فالحسد قد يكون مع السماع من غير رؤية أوفى القلب، ولا يشترط فيه الرؤية، ونلمح هنا الارتباط بين اللفظ والمعنى مع الإيجاز.

٩. ومن الإيجاز قوله -صلى الله عليه وسلم-: "الحَرْبُ خَدْعَةٌ"(٥٣)، وهذا الحديث من جوامع كلمه، وروائع حكمه -صلى الله عليه وسلم-، ولقد عده الثعالبى فى كتابه الإعجاز والإيجازمن أمثال النبى -صلى الله عليه وسلم- السائرة وأقواله الرائعة(٥٤)، وكلمة " خدعة " هنا فيها أكثر من ضبط(٥٥)،والضبط الأفصح فيها بفتح

الخاء وسكون الدال كما قال النووى وغيره، وهو لغة النبى -صلى الله عليه وسلم- كما قال ثعلب؛ وهذا الحديث من روائع الإيجاز ففيه استعمال الحيلة ولو مرة واحدة وإلا فقاتل. وقال الخطابى: " معناه أنها مرة واحدة: أى إذا خدع مرة لم تقل عثرته. والإتيان بالتاء للدلالة على الوحدة؛ فإن الخداع إن كان من المسلمين، فكأنه حضهم على ذلك ولو مرة واحدة، وإن كان من الكفار فكأنه حذرهم من مكرهم ولو وقع مرة واحدة فلا ينبغى التهاون بهم لما ينشأ عنهم من المفسدة ولو قل، ولذا قال أبو بكر بن طلحة: " أراد ثعلب بقوله إنها لغة النبى -صلى الله عليه وسلم- أن النبى كان يستعمل هذه البنية كثيراً لوجازة لفظها، فكانت مع اختصارها كثيرة المعنى"(٥٦)وفى الحديث التريض على الحذر فى الحرب، والندب إلى خداع الكفار، وإن لم يتيقظ لذلك لم يأمن أن ينعكس الأمر عليه، وفى الحديث الإشارة إلى استعمال الرأى فى الحرب، بل الاحتياج إليه آكد فى الشجاعة. معنى " الحرب خدعة " أى الحرب الجيدة لصاحبها الكاملة فى مقصودها إنما هى المخادعة لا المواجهة، وذلك لخطر المواجهة، وحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر. وهذه العبارة مع وجازتها مطابقة لمقتضى الحال لأن النبى -صلى الله عليه وسلم- قالها فى غزوة الخندق.

١٠. ومن الإيجاز قوله -صلى الله عليه وسلم-: "الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ، وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ"(٥٧)وهذا الحديث مع ما فيه من الإيجاز" فيه مقابلة جميلة حيث قوبل الملعون بالمرزوق، والمقابل الحقيقى مرحوم أو محروم ليعم، فالتقدير التاجر مرحوم لتوسعته على الناس، والمحتكر ملعون محروم لتضييقه على الناس"(٥٨)، فجمع البيان النبوى هنا بين صنفين من التجار، أحدهما:يوسع على الناس وييسر ولا يحتكر، فبيّن النبى -صلى الله عليه وسلم- أنه مرزوق موسع عليه لأنه وسع ويسّرعلى الناس. أما الثانى: الذى اشترى الطعام فى وقت الغلاء وادخره ليغلو فهو ملعون خاطئ كما صح فى حديث آخر عند مسلم،(٥٩)لأنه شق على الناس وضيق عليهم، والمقابل للمرزوق هو المحروم ولكنه قابله بالملعون ليعم ويشمل الحرمان واللعنة أيضاً فوق ذلك لأن ضرره متعد إلى الناس الذين استغل حاجتهم إلى الطعام والشراب، فالاحتكار المحرم هو فى الأقوات خاصة.

يشتمل الحديث على أسلوب الإيجاز مع المقابلة الدقيقة، و فيه بيان الفرق بين التاجر المرحوم والتاجر الملعون، ومن خلال كلامه يفهم الحض على التسامح والرفق بالناس فى التعامل، والتيسير على ذوى الحاجة فليتأمل!

اتضح من هذا أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يستعمل كلمات وتراكيب ومصطلحات لم تسمع من العرب قبله يقول الخطابي في هذا الصدد "ومن فصاحته وحسن بيانه أنه قد تكلم بألفاظ اقتضبها ولم تسمع من العرب قبله ولم توجد في متقدم كلامها ... وقد يدخل في هذا النوع إحداثه الأسماء الشرعية"(٦٠) وكذلك صرح الجاحظ أيضاً(٦١).

هذا غيض من فيض مما يزخر به البيان النبوي من جماليات لا حصر لها في المعاني الغزيرة والأفكار الراشدة. وتبرز هذه الجمالية في استخدام الألفاظ القليلة للتعبير عن المعاني الكثيرة، مع وضوح في الألفاظ ودقة في التعبير، وتكثيف في الصورة. وبهذه الأمور وغيرها كان الحديث النبوي ميدانا فسيحا للبحث في ألفاظه ومعانيه وأساليبه و عن أسراره الجمالية مما أفاد وأثرى البلاغة العربية و تستمرّ هذه السلسلة الميمونة في المستقبل لوجود عنصر الإعجاز و الإيجاز بصورة واضحة في البلاغة النبوية.

الهوامش

(١) النور : ٥٤ و ينظر سورة العنكبوت: ١٨، و آل عمران: ٢، و المائدة: ٩٢، و التغابن: ١٢

(٢) المائدة: ٦٧

(٣) الأنعام: ١٢٤

(٤) وقد صرّح أبو نصر الفارابي في وصف لهجة قريش قائلاً "كانت قريش أجود العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعاً وأبينها إبانة عما في النفس". ينظر السيوطي، جلال الدين(ت:٩١١هـ) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، (مصر، مكتبة الأزهرية ١٣٢٥هـ) ج:١، ص: ١٢٨، وينظر كذلك الجاحظ، عمرو بن بحر البيان والتبيين، (مصر، مكتبة الخانجي : ١٩٧٥م) ج: ١، ص: ٩، ولذا أكد سيدنا عمر - رضي الله عنه تعالى — لإملاء المصاحف أن يكون الكتاب من غلمان قريش ويقول: "لا يملين في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف" المزهر ج: ١، ص: ١٢٧.

(٥) كان مولده — صلى الله عليه وسلم - في بني هاشم، وهم ذروة قريش، سلاسة لسان، وفصاحة كلام، وسماحة بيان وأخواله من بني زهرة، ورضاعه في بني سعد بن بكر، ونشأته في قريش، وتزوج خديجة هي من بني أسد، وكل هذه القبائل خصها الله تعالى بعرق في الفصاحة عريق، وسبب في البلاغة وثيق ... وكان ذلك كله إعداداً من الله لنبيه، لينهض بأتم دعوة، وأكمل رسالة.

(٦) ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي (مطبعة الخيرية، مصر) ج:١، ص: ٤، وأبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف المالكي (ت ١١٤٢هـ) شرح المواهب اللدنية (المطبعة الأزهرية المصرية ١٣٢٧هـ) ج: ٤، ص: ١٠١، وابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ) الوفاء بأحوال المصطفى، (مصر، دارالكتب الحديثة،١٣٨٦هـ) ج: ٢، ص:٤٥٦.

(٧) هم بنو سعد بن بكر وكانت هذه القبيلة من أفصح القبائل، وكان أطفال القرشيين يتبدون فيهم وفي غيرهم يطلبون بذلك نشأة الفصاحة، وإحكام اللهجية العربية وصحة النشأة، وحرية النزعة وما إليها ما هو الأصل في هذه العادة يتوارثونها في التربية من قديم. ينظر الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (دارالكتاب العربي، ط: ٢، ١٩٩٩م، بيروت) ص ٢٨٥.

(٨) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها،ج:١، ص: ١٢٧.

(٩) المرجع نفسه، ج: ١، ص: ١٢٦.

(١٠) الزبيدي السيد محمد مرتضى، اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (دار الفكر بيروت)، ج: ٧، ص:١١٢.

(١١) البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام هارون (مكتبة الخانجي، ط: ٤، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ج: ٢، ص: ١٨.

(١٢) هو الإمام أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت: ٣٨٨هـ).

(١٣) الخطابي، غريب الحديث (دمشق دار الفكر، ١٤٠٢هـ)، ص: ٦٤.

(١٤) الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية (دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ٢، ١٤٢٠هـ — ١٩٩٩م) ص: ٢٧٩-٢٨٠.

(١٥) مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم (دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ٨) ج: ٣، ص: ٨

(١٦) ينظر: علي المتقي علاء الدين بن حسام الدين الهندي البرهانفوري، كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٥، ١٩٨٥م)، ج: ١، ص: ١٧٤، و الزبيدي ابن الربيع، تيسير الوصول (الحلبي، ١٣٥٣هـ)، ج: ١، ص: ٢٥.

(١٧) ينظر أحمد حسنالزيات ، دفاع عن البلاغة (القاهرة، عالم الكتب، ط: ٢، ١٩٦٧م) ص: ٦٥-١٠٠ ووحي الرسالة (بيروت — دار الثقافة، ط: ٦: ١٩٧٣م)، ج: ٣، ص: ١٠٧، وعبد الحميد محمد المسلوت، الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام (الجامعة الليبية، ط: ١، ١٩٧٣م)، ص: ٣٨٧، والصباغ محمد، الحديث النبوي (مصطلحه -بلاغته— علومه— كتبه) (بيروت، منشورات المكتب الإسلامي ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ص: ٩٣.

(١٨) سنن أبي داود، باب ذكر الفتن و دلائلها، ج: ١، ص: ٣١٨ و مسند أحمد، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، ج: ٤، ص: ١٩٤. و أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص: ١٦٧، والرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: ٣٤.

(١٩) هو قلة مبنى الكلام مع كثرة المعنى و غزارته

(٢٠) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سوره الترمذي، شمائل الترمذي (المطبعة المجتبائية، الهند)، ص: ١٦.

(٢١) المبرد، محمد بن يزيد الكامل، تحقيق: محمد أحمد الوالي، ج ١، ص: ١٠.

(٢٢) ينظر حسن زيات، دفاع عن البلاغة، (القاهرة، عالم الكتب، ط: ٢، ١٩٦٧م)، ص: ١٣٠.

(٢٣) ابن الأثير، ضياء الدين،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، التقديم والتحقيق للدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة (ط: ٢، منشورات دار الرفاعي، الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ج: ١، ص: ١١٧.

(٢٤) رواه مسند أحمد، ج: ٤، ص: ٢٠٧

(٢٥) سننالترمذي، باب ما جاء في رفع الأمانة، رقم: ٢٢١٣.

(٢٦) ينظر التفصيل في ابن الأثير، المثل السائر، ج: ١، ص: ١١٩.

(٢٧) المصدر السابق ج: ١، ص: ١١٩.

(٢٨) أحمد حسن الزيات، من وحي الرسالة ص: ٣، ج: ١٠٧.

(٢٩) الرافعي، تاريخ آداب العرب، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ٩، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) ص: ٢٧٧-٢٤٣.

(٣٠) الشريف الرضي، المجازات النبوية، تحقيق: د/ طه محمد الزيني المجازات النبوية، ص: ٤١٩.

(٣١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ) القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ج: ١٠، ص: ٥٢٣.

(٣٢) صحيح البخاري، باب بدء الوحي، ج: ١، ص: ٣،و سنن أبي داود، فيما عني به الطلاق و النيات، ج:٦،

ص: ١١٨.

(٣٣) صحيح البخاري، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، ج: ٥، ص:٢٤٨

(٣٤) الشريف الرضي، المجازات النبوية، ص: ٧٧

(٣٥) الشريف الرضي، المجازات النبوية، ص: ٩٣.

(٣٦) صحيح مسلم في كتاب (الجهاد، باب في غزوة حنين رقم (٧٦) ورواه أحمد في مسند جـ ١، ص ٢٠٧ و السيوطي، المزهر، جـ: ١، ص: ٣٩.

(٣٧) صحيح البخاري، باب المفاتيح في اليد، ج: ١، ص: ٢٧٩، و صحيح مسلم، ج: ....و انظر مزيداً من الأمثلة في: الرضي، الشريف، المجازات النبوية، تحقيق وشرح د/ طه محمد الزيني (القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاء ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ومنوحي الرسالة للزيات جـ: ٣، ص: ١٠٧، وعز الدين علي السيد، الدكتور،الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص: ١٨٥-١٨٦، وكبرى شيخ أمين أدب الحديث النبوي (دار الشروق، بيروت، ط: ٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص: ١٠٤-١٠٦.

(٣٨) ينظر: الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: ٣٢٩.

(٣٩) العلوي..... كتاب الطراز ....(دار الكتب المصرية) ج: ١، ص: ٤٠٧

(٤٠) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب: في النصيحة والحياطة للمسلم، عن أبي هريرة. برقم: ٤٩١٨. وأخرجه البيهقي في سننه أيضا في كتاب قتال أهل البغي، باب: ما في الشفاعة والذب عن عرض أخيه المسلم من الأجر.

(٤١) المجازات النبوية، م، س، ص٧١.

(٤٢) أخرجه البخارى من حديث جابر , وأخرجه مسلم من حديث حذيفة , وأخرجه أبوداود والترمذى . جامع الأصول ٣٦٠/١, ونزهة المتقين ١٣٠/١

(٤٣) ولقد عد هذا من المعروف كما فى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق " المشكاة ح (١٨٩٤)

(٤٤) وكما يقول الراغب : " المعروف اسم كل فعل يعرف حسنه بالشرع والعقل معاً , ويطلق على الاقتصاد لثبوت النهى عن السرف " وقال ابن أبى جمرة : " يطلق اسم المعروف على ما عرف بأدلة الشرع أنه من أعمال البر سواء جرت به العادة أم لا " ويراجع فتح البارى ٤٦٢/١٠

(٤٥) أخرجه الإمام أحمد وأصحاب الكتب الستة. ومن ذلك أنه -صلى الله عليه وسلم- رأى امرأة تبكى عند قبر فقال : " اتق الله واصبرى " قالت : إليك عنى فإنك لم تصب بمصيبتى، ولم تعرفه . فقيل لها : إنه النبى -صلى الله عليه وسلم-. فأتت باب النبى صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك . فقال : " إنما الصبر عند الصدمة الأولى".

(٤٦) ينظر صحيح مسلم بشرح النووى ٢٢٧/٦

(٤٧) ينظر شرح الطيبى على المشكاة ٤١٥/٣

(٤٨) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: قول النبي، صلى الله عليه وسلم: "كن في الدنيا غريب أو عابر سبيل"، برقم: ٦٠٥٣.

(٤٩) جامع العلوم والحكم، ٣٧٨/٢، ٣٧٩.

(٥٠) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم الحديث: ٢٨٢٢. والترمذي، في أبواب صفة الجنة، رقم الحديث: ٢٦٨٤.

(٥١) بكري شيخ أمين، أدب الحديث النبوي، بيروت: دار الشروق، ط٤، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص١٦٩، ١٧٠.

(٥٢) أخرجه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة. المشكاة ح (٤٤٣٢) ٢٧٠/٨

(٥٣) متفق عليه من حديث جابر. أخرجه البخارى – كتاب الجهاد – باب الحرب خدعة – ح (٢٩٢٩) ١٨٣/٦، وأخرجه مسلم – باب جواز الخداع فى الحرب – ٤٥/١٢, وأخرجه أيضاً أبوداود والترمذى.

(٥٤) وذلك فى الفصل الذى عقده لأمثال النبى وروائع أقواله ص: ٥ – ط مكتبة مشكاة الإسلامية. وهذا الكتاب جمع فيه الثعالبى من نوادر الحكم والأمثال من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأقوال البليغة، والحكم والأمثال، والشعر السائر، والكتاب يمتاز بالتدرج الزمنى لأصحاب النصوص

(٥٥) قال صاحب النهاية : "خدعة " يروى بفتح الخاء وضمها مع سكون الدال، وبضمها مع فتح الدال. فالأول معناه: أن الحرب ينقضى أمرها بخدعة واحدة من الخداع:أى أن القاتل إذا خدع مرة واحدة لم تكن له إقالة، وهى أفصح الروايات وأصحها. ومعنى الثانى: هو الاسم من الخداع. ومعنى الثالث: أن الحرب تخدع الرجال وتمنيهم فلا تفى لهم كما يقال: فلان رجل لُعَبَة وضُحكَة: أى كثير اللعب والضحك. ويراجع جامع الأصول ١٨٩/٣

(٥٦) يراجع صحيح مسلم بشرح النووى ٤٥/١٢، وشرح الطيبى ٤٢٧/٧،٤٢٨، وفتح البارى ١٨٣/٦

(٥٧) رواه الدارمى وابن ماجة من حديث عمر . المشكاة ح (٢٨٩٣)١٠٨/٦

(٥٨) ينظر شرح الطيبى على المشكاة ١٠٨/٦,١٠٩

(٥٩) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من احتكر فهو خاطئ " رواه مسلم من حديث معمر المشكاة ح (٢٨٩٢) ١٠٨/٦

(٦٠) الخطابي، الإمام أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت: ٣٨٨هـ) غريب الحديث، جـ ١، ص:٦٦.

(٦١) ينظر البيان والتبيين، جـ: ٢، ص: ١٦.

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆